(٥١)

"تلقين"

صاح الأحباب والأقرباء مهللين "حلقاتك برجالاتك" احتفالاً بالمولود الجديد. ووسط الضجيج المزعج والفرحة المدوية علت الأصوات تأمر الطفل الرضيع بأن يسمع كلام أمه ويسمع كلام أبيه. إنها تلك الطاعة الواجبة التى تبدأ مع بداية حاسة السمع لينشأ معها ما يُسمَّى بالسمع والطاعة لأقرب البشر وأكثرهم حنوًا، ومع توحيد مصدر الكلام الذى يعطى الأوامر والنواهى، تتحول الطاعة إلى عادة يمارسها صاحبها بلا تفكير وينفذها بلا تردد. ويظل الطفل الرضيع ينمو ويكبر، وتظل حاسة السمع تتجه لمصدر واحد قريب إلى أن تتعدد المصادر المسموعة وتتنوع الأوامر وتختلف النواهى، فتتمرد الطاعة العمياء محاوِلة الإبصار فى طريق غير واضح المعالم، فيتشتت صاحبها فى حيرة، أو يقرر عدم الارتباك والعودة سريعًا إلى ذات المصدر الواحد الذى ألفه واعتاد أن يتلقى منه الأوامر والنواهى.

لقد ابتهج الأبوان بالمولود الجديد فاحتضناه برعايتهما حتى تخطى مرحلة الطفولة اللاعبة، وبدأ الدخول فى مرحلة الصبا، فما انفك أن يفكر فيما يقال له ويسمعه من والديه ومن غيرهما حتى أخذ يسأل ويناقش مسائل بعينها، ويفتش ويبحث عن أخرى. ومع نضج الطفل الذى أصبح صبيًا وبداية تمرده رفض الوالدان جنوح ابنهما عن طاعتهما، ولم يتقبلا أن يسمع وليدهما

لكلام أحد غيرهما أو يطيع أمر شخص سواهما، حتى لو كانت طاعته لغيرهما قائمة على قناعة منه ومترتبة على تفكير عميق. ومع استمرار نضج الصبي، استمر عناده وتمرده، وأصر على أن يفكر فيما يسمعه، وعلى أن يكون سلوكه المبني على قراره ليس مجرد طاعة عمياء لأحد حتى لوالديه، بل سلوكًا حرًا مقتنعًا به ومدركًا لعواقبه ودوافعه.